التابو أو اللامساس

فى عدد ابريل سنة ١٩٣٢ تناول حضرة الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر الكلام على موضوع « التابو أو اللامساس » فأثار هذا البحث جدلا كبيراً فى الصحف السورية ونشرته مجلة العرفان برمته معقبة عليه . وجاءتنا ردود كثيرة حوله ، ننشر منها هذه الردود عملا بحرية الرأى ؟ المحرر

— ١ —

استغربت قول الدكتور الفاضل عبد الرحمن شهبندر فى صفحة ١٤٢٥ من مجلتكم : « بل هذا التنجس الذى يشعر به إخواننا الشيعة ، من كل من خالفهم شعوراً محمولا على المعنى المادى المحسوس » وقوله « لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر » فهذا لا أثر له عند أصحابنا الشيعة بتة .

أما العامة فجهلة للدين من الشيعة وغيرهم ، ومنهم ينشأ فساد الدين ؛ ألا ترى أن ابن أبى الحديد عبد الحميد سأل عالمنا الشهير أبا جعفر يحيى بن محمد العلوى ، نقيب البصرة ، عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال مرة : « أتقول إنهما من أهل الجنة ؟ » فقال : « إى والله أعتقد ذلك ، ولا أشك فى إيمانهما برسول الله ... وصحة عقيدتهما » قال : « فقلت له فعثمان ، قال وكذلك عثمان » ثم قال : « رحم الله عثمان ، وهل كان إلا واحداً منا وغصنا من شجرة عبد مناف ؟ ولكن أهله كدروه علينا ، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا » (١) مع أن الرجل كان إمامياً علويا .

وألف العالم الشيعى المعاصر لنا (أبو عبد الله الزنجانى الإيرانى) عضو المجمع العلمى بدمشق ، كتابا فى تحليل مؤاكلة اليهود والنصارى ، فكيف يتنجس الشيعة من السنة ، ودينهم واحد ، وربهم واحد ، ونبيهم واحد ؟

أما الذى لاقاه الدكتور شهبندر ، فهو من الجهلاء الذين ابتلى الشيعة بهم ، وكذلك السورى الذى أفتى الترك ، بتحليل أموال الشيعة وقتلهم فى زمن الحرب العظمى ، وربك أعلم بالمهتدين .

ياسيدى : — وفى كل من مذهب الشيعة والسنة خرافات ، يجب تطويرهما منها ، ليتحد المسلمون ويظهر لباب الدين الذى جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

(بغداد) مصطفى جواد

---

(١) شرح ابن أبى الحديد (ج ٢ ص ٤٧٧)

— ٢ —

طالعت فى مجلة « المعرفة » الغراء بحثاً علمياً فلسفياً فى الجزء الثانى عشر لسنتها الأولى فى ١ نيسان سنة ١٩٣٢ بعنوان (التابو أو اللامساس) بقلم زعيمنا الكبير العلامة الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر .

وشد ما كان استغرابى للأساس الذى بنى عليه بحثه الاجتماعى مدعوماً بالظن والتخمين ، وغير مستند إلى دليل منطقى أو برهان معقول ، و « إن بعض الظن إثم » ، وهو العلم الفرد الذى له مكانته العلمية ، والأستاذ البعيد الغور الذى له مكانته السياسية ، فعلمت إذ ذاك أن سياسة التفرقة بين المسلمين فى العهد الأموى لم تزل متأصلة فى النفوس ، تعمل عملها فى القرن العشرين ولو عن غير قصد .

قال الزعيم الكبير حفظه الله : « إنه ركب سنة ١٩١٥ من مدينة (هيت) على شاطىء الفرات إلى العتبات المقدسة ، « النجف وكربلاء والكوفة » مع نوتى من عرب المعدان من عوام الشيعة ، اسمه (حسين) ولما أذنت الشمس بالمغيب ، طبخ النوتى طعاماً من الأرز والمرطبان ، ودعاه مع رفيقه المرحوم السيد (توفيق الحلبى) لكى يشتركا معه ، وكان يقسم الأيمان أنه لا يتأفف من الأكل معهما ، فشكره على ذلك ، ثم همس فى أذن رفيقه بأن الشيعة على شاطىء الفرات هم من الغلاة ، الذين يأخذون بظاهر الآية « إنما المشركون نجس » وهم يحتسبوننا فى زمرة هؤلاء المشركين ؛ لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر ولم نقتصر لأهل البيت الانتصار اللائق . »

أعزك الله يا مولاى الزعيم ، لقد أسرفت فى حكمك وأنت الحاكم العدل ، وجرت باستنتاجك وأنت معدن الفضل ، لأن دعوة (حسين المعيدى) لكما إلى طعامه وقوله إنه لا يتأفف ، لا تستدعى الحكم القاطع على إخوانك فى الدين بأنهم يحتسبون إخوانهم فى زمرة المشركين ، كلا ورب الكعبة ، إن الشيعة براء من هذه الأباطيل ، ولم يقل بهذا أحد من علماء المسلمين الشيعيين والسنيين فى العهدين الأموى والعباسى ، وهذه كتب الفقه لا تؤيد ما همست به فى أذن رفيقك ، والآية الكريمة التى استشهدت بها « إنما المشركون نجس » لا تنطبق على المسلمين ولا على المسيحيين ، وإنما نزلت فى مشركى قريش بالاجماع ، وهذا تفسير القرآن للعلامة الطبرسى الشيعى ، وهو من أحسن التفاسير جمع فأوعى يدحض هذه الشبهة .

إن هذا الحكم لو صدر من أمثال (حسين المعيدى) ، لا يؤبه له ولا يقام له وزن ، ولكن أنت الحامل لواء العلم ، المجاهد فى سبيل اتحاد كلمة المسلمين ، فهل يليق أن تكتب على صفحات المجلات والجرائد السياسية ، وكلامك القول الفصل ، بأن المسلمين الشيعيين يحتسبون إخوانهم فى زمرة المشركين ؟ وهل يجوز أن تزرع زرعاً لا يأتى أكله إلا سماً زعافاً ؟

لقد ذكرتنى يا دكتور بحكاية عرضت لى منذ ثلاثين سنة فى العهد العثمانى فى مدينة (صور) ، وكانت وقتئذ مركز الطابور الرديف ، وهى : أن الملازم (عبد الرزاق أفندى) من عملة

الشاغور بالشام، طلب أن يقرأ على درساً فى النحو، فأجبته إلى طلبه، وكان يستوضح منى بعض المسائل، وفى يوم من أيام الصيف كنا جالسين على شاطىء البحر مساء، وقد تهافت الناس للاستحمام، فقال لى: يا أخى! إن أكثر الناس فى هذا البلد شيعيون، وعندنا منهم كثيرون نقبذهم بالأرفاض، وقد بلغنى أن الرجل منهم له ذنب فوق إليته، فاستغربت هذا الأمر من قائد متخرج فى معهد عسكرى عال، فقلت له يا أخى! ومن أخبرك أن لهم أذناباً؟ فقال هذا شائع عندنا فى الشام، فحينئذ طلبت اليه أن يستعرض المستحمين كما يستعرض الجيش، لكى يزول ماعلق بذهنه، فعاد وهو يتأفف من هذه الترهات التى ما أنزل الله بها من سلطان.

يامولاى الزعيم: أنت تعلم يقيناً أنه لااختلاف بين الشيعيين والسنيين فى الأصول، وهذا كتاب الله بين أيديهم، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا كلام نبيهم الصادق الأمين الذى لاينطق عن الهوى «إن هو إلا وحى يوحى»، وإذا حصل خلاف فى الفروع لايزيد عما بين الأئمة الأربعة:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

فالخلاف حزبى سياسى حاشا الدين، كان بين الهاشميين والأمويين، ثم انقسم الهاشميون إلى علويين وعباسيين، ثم إلى شيعيين وسنيين، وكانت الحرب سجالا يثيرها علماء السوء لينالوا الزلفى من ملوك زمانهم، وكان التعصب يظهر ويختفى بحسب الظروف، والناس على دين ملوكهم، وماعهد جمال باشا السفاح ببعيد، فقد استحصل على فتاوى من أكثر علماء سوريا بتكفير رئيس البيت الهاشمى، لمطالبته بحقوق العرب، فالآن ليس للمسلمين سلطة دينية ولا دنيوية، والأغيار يسومونهم سوء العذاب، وطأوا بسنابك خيلهم أوطاننا، وملكوا باختراعاتهم أرضنا وأصبحنا غرباء فى بلادنا، ولم يزل الدين مطية للنكاية والتفرقة بيننا؛ المسلمون منتشرون فى القارات الخمس من سنيين وشيعيين، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤدون مناسك الحج ويعبدون ربهم فى المساجد جنباً لجنب، متصلة أنسابهم بالمصاهرة والمجاورة، يتبادلون المآدب والولائم، لايتورعون عن طعام بعضهم بعضاً، فمتى نستيقظ من سباتنا ونضرب بهذه الأكاذيب عرض الحائط؟ ونعتصم بديننا القويم، عملا بقوله عز وجل «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

ياحضرة الدكتور! أنت حكيم للأرواح والأجسام، وأنت عطف الامال، وعليك المعول فى رتق هذا الفتق بين المسلمين، وكنا نربأ بقلمك الفياض أن يجرى فى هذه الحلبة بدون تمحيص، ولنا بغزارة علمك، وقوة حجتك وسعة اطلاعك، دحض ماسجله قلمك عن سهو أو نسيان، والعصمة لله وحده، ومثلك من يتحرى الحقائق للخدمة العامة مصداقاً لقوله تعالى «إن الظن لايغنى عن الحق شيئاً»

صيدا (سوريا) سليمان زوه

— ٣ —

قرأت اليوم ما كتبه معالي الزعيم الكريم الدكتور شهبندر في «المعرفة» الزاهرة عن (اللامساس) وتعرضه في المقال لحادثة وقعت لمعاليه، أثناء ذهابه إلى العراق مع أحد فلاحي تلك البلاد، وتوهمه أن الشيعة — لاسيما من كان منهم على ضفاف الفرات، الذين عدهم غلاة وليسوا من الغلو على شيء — يعتقدون الاشراك بمن يعترف بخلافة ابي بكر وعمر، فيطبقون عليهم ظاهر الآية: «إنما المشركون نجس»!!

وكم كنت أود — وأنا ممن يضمرون للدكتور الزعيم كل احترام — لو أن معاليه لم يلق الكلام على عواهنه في هذا الموضوع الخطير، بل بحث واستقصى كتب الشيعة واعتقاداتهم، ليرى إن كان هذا الذي سمعه من أفواه بقايا القرون المظلمة حقا أم غير حق...

وما احسب هذا الوهم الذي اعتقده الدكتور إلا متسربا اليه من المحيط الدمشقي الذي كان يعتقد إلى حين قريب بالشيعة اعتقادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تخطر للشيعة في بال.

ومثل الدكتور في علمه ووطنيته يجب أن يترفع عن اتهام طائفة إسلامية كبرى، لها في تاريخ العرب والاسلام في الماضي والحاضر أنصع الصفحات؛ تهما لم يوجهها للمسالمين إلا التعصب الأعمى والغرض والجهل.

والشيعة الذين ظلوا أزمانا عديدة عرضة لشتى المتالب في عقيدتهم وإسلامهم، لم يكونوا في يوم من الأيام إلا فريقا إسلاميا، لا يختلف عن غيره إلا بأنه يرى في علي بن أبي طالب رجلا تجمع فيه كثير من الخلال الفاضلة، والصفات الحميدة، فكان أهلا للاكبار والاعجاب والتقدير والتفضيل، وأن آل الرسول لم يعاملوا بعد الرسول معاملة يقتضيها الاعتراف بالجميل، لمن نفخ في العرب روح الحياة وأسس مجدهم العظيم.

وأما فيما عدا هذا فليس بين الشيعة وغيرهم من المسلمين فرق: لا في الاعتقادات، ولا في المعاملات، وإذا وجد فرق طفيف فهو لا يعدو هذه الفروق التي نراها بين الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي، مما مرده في ذلك الاجتهاد واختلاف الانظار.

فلا ندري متى يقدر للباحثين أن يدرسوا حقيقة هذا المذهب الاسلامي الشيعي، كما درسوا المذاهب الأربعة الاسلامية، فيعرفوا أن ما علق في أذهانهم عنه ليس إلا وهما وخيالا، فترتاح من الردود والنقود؛ وكتب القوم مطبوعة ومنتشرة في كل صقع وقطر، ومن السهل الرجوع اليها للوقوف على الحقيقة.

ولا أدري إن كان في كلامي هذا مقنع لمعالي الزعيم في فساد ماذهب اليه، فيعمد إلى تصحيح ما كتبه في «المعرفة» عن الشيعة، ويغير — هو وغيره — اعتقاده فيهم، فلا يتكلم الناس عنهم بعد اليوم الا بالحقيقة الواقعة، أم أنا سنضطر في كل مناسبة إلى حمل أقلامنا والدفاع عما يلصق بنا مما لا يمكن احتماله. ومما يعلم الله أننا بعيدون عنه وبراء منه؟!

دمشق (الجامعة السورية) حسن الأمين